المريض و المرض وحقوق المريض في أحاديث الطبّ النبوي

Saffet SANCAKLI*

الخلاصة

الإنسان الذي يعيش في هذه الدنيا كما أنه يواجه من الحياة ما يحبّه ويرضاه كذلك يواجه السلبيّات أيضًا. ومن هذه السلبيات المرض والموت اللذان هما من حقيقة الحياة. وإذا بحثنا عن الأحاديث النبوية المتعلّقة بالمرض وجَدْنا أنها كثيرة. وفوق هذا نجدُ في بعض كتب الحديث أبوابًا خصّصت بالمرض. ومن هذه الوجهة فإنَّ بحثَنا هذا يتضمّن أهمّية الصّحّة والطبّ الوقائي والتداوي من الأمراض وعلاقة النبيّ صلّى الله عليه وسلم بالمرضى والتداوي بالرقية الشرعية وأهمية زيارة المريض والرّخص التي شُرِعَت للمرضى وحقوق المرضى وغير ذلك ممّا له علاقة بالموضوع.

الكلمات : المريض, المرض, حقوق المرضى, الطبّ النبوي, الصّحّة.

TIBB-I NEBEVİ HADİSLERİ BAĞLAMINDA HASTA/HASTALIK VE HASTA HAKLARI

Öz

Dünya hayatını yaşayan bir insan, dünyanın olumlu yönleriyle karşılaştığı gibi, olumsuz yönleriyle de karşılaşabilmektedir. Bunlardan hastalık ve ölüm, hayatın bir realitesidir. Hadisler bazında hastalık olgusunu araştırdığımızda konuyla ilgili pek çok hadisle karşılaşmaktayız. Hatta bazı hadis kaynaklarında hastayla ilgili açılmış özel bölümler vardır. Bu bağlamda çalışmamızda sağlığın önemi, koruyucu hekimlik, hastalıkların tedavisi, Hz. Peygamber'in hastalarla olan ilişkileri, hastalıkların günahlara kefaret olması, rukye ile tedavi, hasta ziyareti, hastalara sağlanan kolaylıklar, hasta hakları, hastanelerde hastaların bakımı gibi konular işlenecektir.

Anahtar Kelimeler: Hasta, Hastalık, Hasta Hakları, Tıbb-ı Nebevî, Sağlık

PATIENTS/DISEASE AND PATIENTS' RIGHTS IN THE CONTEXT OF PROPHETIC MEDICINE

Abstract

Living the life, a human being not only faces the positive aspects of the world but can also experience the negative ones. Of these, disease and death are the reality of life. We encounter many hadith about the issue as we study the case of the disease in the field of Hadith. Even in some hadith sources there are special sections regarding patient. In this context, issues such as the importance of the health, preventive medicine, treatment of disease, theProphet's relations with the patients, redemption for the sins of the disease, treatment with rukye, visiting the patients, facilities provided to patients, patients' rights, care of patients in hospitals will be covered.

Keywords: Patient, Illness, Patients' Rights, Prophetic Medicine, Health

Makalenin Dergiye Ulaştığı Tarih: 01.01.2015; Hakem ve Yayın Kurulu Değerlendirmesinden Geçen Makalenin Yayıma Kabul Edildiği Tarihi: 05.01.2017

* أستاذ الحديث في كلية الإلهيات بجامعة إينونو، ملطية e-mail:saffet.sancakli@inonu.edu.tr

المقدمة:

سنتحدث في هذا البحث عن المريض والمرض وحقوق المريض من خلال الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب؛ وقايةً وعلاجًا. فقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تحدثت عن الطب، جُمِعت في كتب اهتمت بها واعتنت بدراستها، سميت بالطب النبوي. وأفرد علماء الحديث لموضوعات الطب كُتبًا وأبوابًا متعددة وبأسماء مختلفة، وكلها يدل على اهتمامها بالوقاية والعلاج, والمحافظة على صحة الإنسان وسلامته. لهذا شرح موضوعات الطب النبوي كثير من العلماء الذين اهتموا بالطب الوقائي والعلاجي، مستندين إلى الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية المتعلقة بذلك. علمًا أن الإسلام عدّ تعلُّم الطب وتعليمه فرض كفاية على المسلمين, إذا قام به بعضهم سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يوجد أحد في المجتمع الإسلامي يقوم بهذه المهنة أثِم الجميع, وكلهم حيئذ يتحملون مسؤولية ذلك التقصير.

حقيقة المرض:

الإنسان في هذه الدنيا مُعَرَّض للمرض والبلاء، وليس له ضمان يحميه من ذلك, والناس يعيشون مدة حياتهم في صراع مع هذه الابتلاءات إلى أن تنتهي أيام حياتهم؛ سواء أكانت طويلة أم قصيرة، وكل ذلك مقدّر عليهم. لهذا فإن الإنسان في كل وقت معرض للإصابة بالمرض, وتشير الأحاديث النبوية إلى أن المرض من الأمور السلبية التي يتعرض لها الإنسان في حياته، وعليه أن يقابلها بالإيمان، وبما يليق بالمؤمن من قول أو تصرف. والأمراض نوعان: بدنية تصيب جسم الإنسان وتمرضه، ونفسية تؤثر سلبًا في حالته النفسية فتضطرب، ومن المعلوم أن الإنسان يتكون من جسم وهو كتلة مادية, ومن نفس وهي حالة معنوية. وعلى هذا فإن الإنسان يتعلق مرضه بهذين الجانبين، المادي والمعنوي. والصحة والمرض حالتان ترافقان الإنسان، وعلى هذا فإن حياته ليست على نسق واحد فهناك الصعود والنزول، أو القوة والضعف، ولكن الأغلب حياة الصحة، فهي الأساس, أما المرض فهو شيء طارئ. والمرض غير محمود في الإسلام لأن النبي كان يطلب من ربه في دعائه الصحة والعافية ويأخذ الحيطة من الإصابة به، وإذا أصابه عالج نفسه منه، ونصح أمته بذلك.

مرض الأنبياء عليهم السلام:

إذا نظرنا إلى تاريخ الأنبياء، وهم أكرم الخلق على الله تعالى، وكيف كانت حياتهم- نجد أنهم أصيبوا بالأمراض, لكونهم بشرًا مثل غيرهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وقد يكونون عرضة للمرض والبلاء أكثر من غيرهم؛ لأنهم تعرضوا لمشكلات كثيرة وكبيرة من أقوامهم, فمجتمعاتهم كانت تعاديهم, وحتى أقرب الناس إليهم كان ضدهم في بعض الأحيان، وهذا من شأنه أن يسبب لهم الهمّ والحزن والمرض. ويحدثنا القرآن الكريم عن مرض الأنبياء عليهم السلام، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يتوكل على الله، ويعتمد عليه في شفائه فيقول: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}[1] أي: الله يشفيني من مرضي. وهذا نبي الله أيوب عليه السلام عندما اشتد به المرض استغاث بربه، وقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله: {وَأَيُّوبَ إِذْ

1 الشعراء، 80.

نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[2] فجاءه الأمر من ربه أن يأخذ بأسباب العلاج الذي هيأه له, فقال تعالى مخاطبًا إياه: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}[3] التفسير: قيل له {ارْكُضْ} اضرب {بِرِجْلِكَ} الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل: {هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ} ماء بارد تغتسل فيه {وَشَرَابٌ} تشرب منه، فاغتسلَ، وشرب، فذهب عنه كلّ داء كان بباطنه وظاهره[4]. وقد أخبرنا الله تعالى عن شفائه نبيّه أيوب بقوله: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}[5]، وعندما اشتد حزن نبي الله يعقوب عليه السلام بعد أن فقد ولده يوسف، أصابه المرض قال تعالى عن ذلك الموقف: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}[6]، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل، والرضا والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم، ويقتدي بنبي الله يعقوب وسائر النبيين، صلوات الله عليهم أجمعين.[7] ثم شفاه الله من مرضه؛ بعد أن سخّر له ذلك القميص المبارك الذي كان عند نبي الله يوسف عليه السلام، إذ قال لإخوته: {اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ}[8]. والنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم لقي من الناس مشكلات مادية ومعنوية كثيرة، عندما كان يعلمهم الدين ويجادلهم، وينشر دين الإسلام.. منها المرض والهم والحزن. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة، وقال: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[9]. ونجد حقيقة المرض في القرآن الكريم والصبر عليه والعلاج منه, فالأمراض ذُكِرت في القرآن في آيات كثيرة, وقدمت بعض الإرشادات المناسبة. كما تحدثت عن عيسى عليه السلام وكيف كان يعالج المرضى من قومه، وأهم الأمراض التي كان يعالجها هي العمى والبرص، قال عن نفسه: {وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ} [10]ولكن ذلك بإرادة الله تعالى، إذ يقول له: {وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي}[11]. والآيات السابقة تشير إلى أن العلاج من الأمراض ضرورة شرعية، ومطلب إنساني ضروري، وقد مرض النبي وجُرِح في الحرب, وعالج نفسه، وكان ينصح أمته بالعلاج، وعانى النبي من المرض قبل موته. وقد ورد ذلك في كتب الأحاديث[12]. عن أبي سعيد الخدري، أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اشتكيت يا محمد؟ قال: « نعم « قال: « بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، وعين يشفيك، بسم الله أرقيك,»[13]

2 ص، 41.
3 ص، 42.
4 جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي, تفسير الجلالين، ص459 بتصرف يسير.
5 الأنبياء، 84.
6 يوسف، 84.
7 القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري, الجامع لأحكام القرآن, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية, القاهرة, 1964, ج, 9, ص, 247.
8 يوسف ، 93 .
9 الترمذي، الزهد 37. ابن ماجة، الفتن 36.
10 آل عمران، 49.
11 المائدة، 110.
12 البخاري، المرضى 13-16 والأذان 39. مسلم، البر 40–45 والصلاة 94.
13 أحمد بن حنبل، ج17 ص323 .

لهذا يجب علينا إذا أُصبنا بمرض أن نفكر بمرض الأنبياء, ونصبر ونحتسب ونقتدي بهم ونواسي أنفسنا على هذا البلاء.

أهمية الصحة :

قد لا يدرك أهمية الصحة إلّا من فقدها, ونعمة الصحة من نعم الله على الإنسان, ويحسن به أن يحافظ عليها ويقدر قيمتها جيدًا, والنبي أدرك غفلة الناس عن هذه النعمة, لذلك نبَّه عليها، فقال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[14]، فقد وضّح هذا الحديث الشريف غفلة الناس عن هاتين النعمتين العظيمتين، وفي ذلك إشارة للاهتمام بأمرهما. ونصح النبي أمته بالاهتمام بالصحة قبل المرض، والحياة قبل الموت، وعن هذا الموضوع يقول النبي: «اغتنم خمسًا قبلَ خمسٍ: حياتكَ قبلَ موتكَ، وصحتكَ قبلَ سقمكَ، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك»[15]، وعلى هذا يجب على المسلم أن يستفيد من كل طاقته وأوقاته، والعيش في صحة وعافية، بعيدًا عن الأمراض المادية والمعنوية، وهذه نعمة تحتاج إلى شكر الله عليها، وقد ورد في الحديث: «من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حِيزت له الدنيا»[16]، والصحابة الكرام كانوا يسألون النبي عن أفضل الأدعية التي كان يدعو الله بها، فقال لهم: «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرًا من معافاة»[17]، فهذا الدعاء أكد أهمية الصحة مع أهمية الإيمان، لما لهما من شأن كبير في حياة المسلم. والنبي استعاذ من الأمراض، وذكر بعض أسمائها في عدة أحاديث، منها قوله: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجذام وسيّئ الأسقام»[18]. وكان النبي يطلب من ربه الصحة والعافية, وهذا الحديث يؤكد لنا ذلك: عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ»[19]، لذا فإن الأساس في حياة الإنسان الصحة والسلامة، ومن واجبه أن يحافظ عليهما، وأن يدعو الله ببقائهما.

أهمية الطب الوقائي في الإسلام:

الصحة على رأس النعم التي يتمتع بها الإنسان، وهي أمانة، وعليه المحافظة عليها، وعدمالتفريط بها وإضاعتها لأنها مسؤولية في الإسلام. وقد اهتم الطب الإسلامي بالوقاية من الأمراض أكثر من اهتمامه بالعلاج، وكذلك الطب اليوم يهتم بالوقاية من الأمراض. ويجب أن نعرف أن الوقاية أسهل من العلاج وتكلفتها أقل، وعلى هذا يتفق الطب الإسلامي مع الطب الحديث في هذا الموضوع، بينما اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بالوقاية من الأمراض، وتأتي النظافة في مقدمتها، وهي من الطب الوقائي الأول, وأمرا بالتغذية المناسبة, ومنعا الإسراف في

14 البخاري، الرقاق 65. أحمد بن حنبل، ج 5، ص277.
15 الحاكم النيسابوري، الرقاق 40. النسائي، المواعظ 10.
16 الترمذي، الزهد 56. ابن ماجة، القناعة 9.
17 أحمد بن حنبل، ج 1، ص 185. أبو داود، الأدب 101.
18 أحمد بن حنبل، ج4 ، ص 211.
19 أحمد بن حنبل، ج 34، ص 75. أبو داود، ما يقول إذا أصبح, 4.

تناول الطعام، ويتحدث بعض الآيات القرآنية عن الأغذية, فقد ذُكِرت لحوم الأنعام، والأسماك، واللبن، والتمر والعنب، والثوم، والبصل والعدس، والتين والزيتون، فكل هذه الثمار والخضار لفت القرآن الكريم النظر إليها، كما أنه تحدث عن العسل الذي فيه شفاء لكثير من الأمراض[20]، واهتمت السنة النبوية بالطب الوقائي مثل تقليم الأظافر، وقص شعر الشوارب، ونتف شعر الإبط، ونحوها, والاغتسال, وغسل الأيدي قبل الطعام وبعده، واستعمال السواك، وهناك أحاديث كثيرة فيها، منها: عن عائشة، قالت: قال رسول الله: «عشرٌ منَ الفطرةِ: قصُّ الشاربِ، وإعفاءُ اللحيةِ, والسواكُ، واستنشاقُ الماءِ، وقصُّ الأظافرِ، وغسلُ البراجِمِ، ونتفُ الإبطِ، وحلقُ العانةِ، وانتقاصُ المـاءِ».[21] والسواك من سنن الفطرة، وفوائده كثيرة، فقد كان رسول الله يستعمله في كثير من الأوقات، حتى في الليل، عن حذيفة أن النبي: «كانَ إذا قامَ منَ الليلِ يشُوصُ فاهُ بالسواكِ»[22]. يقول ابن حجر في فتح الباري: «قوله يشوص بضم المعجمة وسكون الواو بعدها مهملة، والشَّوص بالفتح الغسل والتنظيف، كذا في الصحاح، وفي المحكم الغسل عن كراع، والتنقية عن أبي عبيد، والدلك عن ابن الأنباري، وقيل الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق، واستدل قائله بأنه مأخوذ من الشوصة، وهي ريح ترفع القلب عن موضعه، وعكسه الخطابي فقال هو دلك الأسنان بالسواك أو الأصابع عرضًا. قال ابن دقيق العيد: فيه استحباب السواك عند القيام من النوم، لأن النوم مقتض لتغير الفم، لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة، والسواك آلة تنظيف فيستحب عند مقتضاه، قال: وظاهر قوله من الليل عام في كل حالة».[23] وقد سنّ رسول الله استعمال السواك، وغسل يوم الجمعة المبارك لفضيلته، فقال: «غُسلُ يومَ الجمعةِ على كلِّ محتلمٍ، وسواكٌ، ويمسُّ منَ الطيبِ ما قَدرَ عليهِ»[24]. ومن النصوص التي تحدثت عن النظافة قول النبي: «الطهور شطر الإيمان...»[25]، فقد اهتم النبي بهذه الأمور، ودعا المسلمين إلى العمل بها وتطبيقها، واستجاب النبي لأمر ربه عندما قال له: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}[26]{إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[27]. ونذكر أن السنة نبهت على غسل الأيدي بعد الاستيقاظ من النوم، فقال النبي: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا، فإنه لا يدري أين باتت يده»[28]. وفي أحد الأيام جاء إلى النبي رجل قذِر، فقال النبي لأصحابه: «أما وجد هذا ماء ليغتسل به ويغسل ثيابه».[29] فقد نبه النبي بهذا الحديث إلى أهمية النظافة. وقال النبي: «إن الله نظيف يحب النظافة»[30]. وقال النبي أيضًا: «من بات وفي يده ريح غمر

20 والمرجع لذلك : داود أيدوز، الأغذية والشفاء في القرآن الكريم. والآيات التي تحدثت عن اللحمى في سورة البقرة الآية 57، وفي سورة يس الآيتان 71-72، وعن السمك في سورة فاطر الآية 12 . والكهف الآيات 61-62-63 . والحليب في سورة النحل الآية 66 – 99. ويس الآية 72، والأنعام الآية 99, والعدس البقرة الآية 61, والتين والزيتون في سورة التين الآية 1.

21 مسلم، طهارة 1.

22 البخاري، وضوء 26. مسلم، طهارة 87-88.

23 ابن حجر العسقلاني, أحمد بن علي أبو الفضل, فتح الباري شرح صحيح البخاري, دار المعرفة - بيروت. 1959, 1, 356.

24 البخاري، وضوء 27. أبو داود، آداب 101.

25 مسلم، طهارة 1. أحمد بن حنبل، ج1، ص220.

26 المدثر، 4.

27 البقرة، 222.

28 مسلم، طهارة 1. البخاري، وضوء 26.

29 أبو داود، لباس 14.

30 الترمذي، أبواب الأدب 71. أحمد بن حنبل، ج2، ص74.

فأصابه شيء فلا يلومن إلّا نفسه»[31]. ريح غمر أي: رائحة الطعام الدسم، وقد عدد النبي في هذا الحديث الشريف أمورًا وقائية مهمة جدًّا، فقال: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»[32]. أي: أن الفأرة تحرق البيت على أهله عند وجود النار في الليل. والأحاديث السابقة كلها تتعلق بالطب الوقائي، وتؤكد أن الإسلام اهتم به كثيرًا. كما يهتم به الطب الحديث اليوم. وقد كان ذلك قبل أربعة عشر قرنًا، فهذه الحقيقة عرفها النبي، وأدهشت الأطباء اليوم، وتعد هذه من معجزات النبي، وعلينا أن نهتم بالطب الوقائي، ونطبقه كما اهتم به النبي[33]. وكان النبي يتعوذ من الحسد، ويقول في حديثه الشريف: «أعوذ بالله من شر الحسد»[34]وهذا يدل أن النظر حق، يجب الحذر منه، ومن شر الحاسدين. واهتم النبي بتربية بدن الإنسان عن طريق ممارسة الرياضة، والألعاب القتالية، مثل المصارعة والسباحة والرمي وركوب الخيل. وهو بنفسه مارس بعض الرياضات، مثل الجري. وتذكر الأحاديث أن النبي سابق زوجته عائشة فسبقته مرة وسبقها مرة[35]. وفي بعض الروايات أن النبي صارع أصحابه[36]. واهتم الإسلام بالنوم لأنه يساعد على تعزيز الصحة، فقد سمع النبي أن عبد الله بن عمرو لا ينام في الليل إلّا قليلًا، فقال له: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه»[37]. وقال أيضًا عبد الله بن عمرو، قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ «قُلْتُ: إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: «فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ، وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ»[38]. وبهذا الحديث أيضًا نبّه النبي أمته إلى أهمية النوم، وأن يكون المسلم معتدلًا به ليحافظ على صحته. عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ «كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَلَا يُحِبُّ الْحَدِيثَ بَعْدَهَا»[39]. وقد كان بعض الصحابة يصومون أيامًا متتالية تعبدًا لله تعالى، وهو ما يسمى بصوم الوصال، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنِ الوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ».[40] ونهى النبي عن صوم الوصال، لأن ذلك يرهق جسم الإنسان، وصوم الوصال يعني صوم عدة أيام من دون أن يفطر الصائم. كما نهى النبي أمته عن كثرة الأكل, عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ

31 الترمذي، أطعمة 45. أبو داود، أطعمة 53.
32 مسلم، الشفاء 96. الترمذي، أطعمة 15. أبو داود، الشفاء 2.
33 آيهان تكين أشالطب الإسلامي البديل ''الطب النبوي''، مجلة الديوان للبحوث العلمية, إسطنبول, 1998 العدد 4, ص 70-71
34 أحمد بن حنبل، ج3، ص51.
35 أبو داود، الجهاد 61. أحمد بن حنبل، 43ج، ص313.
36 أبو داود، لباس 21. الترمذي، لباس 42.
37 البخاري، تهجد 20.
38 مسلم، صيام 187- 188.
39 أحمد بن حنبل، ج33 ، ص 25.
40 البخاري، حج 85. مسلم، ابن ماجة، أطعمة 50.

فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[41]. وأوصى بالطعام المعتدل والطبيعي الطيب، فقد أخبر الله عنه ذلك في كتابه الكريم: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[42]. وحث النبي أمته على اتخاذ أسباب القوة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا، وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[43]. وحرّم الإسلام ما يضر بالصحة، مثل الخمر والمخدّرات، والدليل في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ... وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ}[44]. وحرّم الخبائث لأنها مضرة. كما نهى عن السحر والكهانة وجعلها من المحرمات، وكان الناس في السابق يعتقدون بصحته، ويتعاملون مع السحرة, وقد نهاهم عن ذلك النبي، ولكن للأسف ما يزال بعض ضعاف الإيمان يلجأون إلى السحرة ويتعاملون معهم. قَالَتْ عَائِشَةُ: «سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ «لَيْسُوا بِشَيْءٍ «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَة»[45]. ومن الأمور الوقائية التي نبّه إليها النبي عدم الدخول إلى المكان الموبوء أو الخروج منه، وهو ما يسمى بالحَجْر الصحي، والطب الحديث يحجز المرضى أصحاب الأمراض المُعدية في مكان مُنعزل، كيلا يسببوا العدوى والمرض لغيرهم، يقول النبي لأمته عن مرض الطاعون المُعدي: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»[46]. وقد ورد أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، فَلَمَّا كَانَ بِسَرْغَ بَلَغَهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَأَخْبَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»[47]. وفي هذا الحديث تعليمات صحية مهمة، وهي تفيد في عدم انتشار المرض، ويجدر بنا أن نذكر ما قاله عمر بن الخطاب: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»[48].عندما أراد ألّا يقترب من مكان الوباء. وقال رسول الله أيضًا: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَمْ يُغَطَّ، وَلَا سِقَاءٍ لَمْ يُوكَ، إِلَّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»[49]. وأخذ التدابير الوقائية من أهم ما أكده النبي، وطبقها على نفسه، ولا بد لكل مسلم أن يطبقها على نفسه وأهله. والتي منها الدعاء، عن عائشة أنها قالت: «إذا أصاب النبي مرض كان يقرأ المعوذتين وكان يتبرك بهما»[50]. ونحن علينا أن نقتدي بالنبي، فهذا فيه خير كثير.

41 ابن ماجة، الأطعمة 22. الترمذي، أطعمة 6.
42 البقرة، 172.
43 مسلم، قدر 54. ابن ماجة، زهد 14.
44 الأعراف، 157.
45 البخاري، كهانة 7. أحمد بن حنبل، ج 4 ، ص117.
46 البخاري، طب 30. أحمد بن حنبل، ج3 ، ص212.
47 مسلم، سلام 92، 95. البخاري، حيل 13.
48 البخاري، طب 7. مسلم، آداب 38.
49 مسلم، أشربة 36. أحمد بن حنبل، ج30 ، ص398.
50 مسلم، سلام 51.

الامتحان والصبر:

السؤال المطروح هو ماذا نفعل تجاه المرض؟ والنصوص الشرعية كثيرة التي تتحدث أن الإنسان في هذه الدنيا معرض للامتحان، منها قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ[51]، وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[52]. وقال سبحانه: {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَنًا إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[53]. وهذه الآية تشير إلى أن ما يصيب المؤمن من بلاء فهو حسن، لكثرة الثواب الذي سيأتيه منه. وفي الآيات السابقة وغيرها بيان واضح بأن الإنسان سيصاب بفتن ومحن في هذه الدنيا، وعليه أن يصبر عليها. لأن النعم ليست دائمة بل هي مؤقتة، والامتحان متواصل طيلة حياة الإنسان، وهذا الحديث يؤكد ذلك، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ, ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[54]. ومن المهمّ أن نواجه الامتحان بالصبر والرضا؛ لأن ذلك قدر من الله تعالى؛ ولأنه من أركان الإيمان الرضا بالقضاء والقدر، ونؤمن بأن الله سبحانه سيعطينا أجرها بأحسن منها في الآخرة[55]، ويجب علينا أن نبتعد عن الأخطاء التي تسبب خذلاننا في الآخرة, فالمسلم يرضى بالمرض، ويعده امتحانًا من الله، ويقابله بالصبر والثبات. والإنسان الذي يفقد صحته يعجز عن القيام بكل واجباته الدينية والدنيوية، لذلك عليه أن يبادر ويعالج نفسه بما يفيدها، ليستأنف حياته الطبيعية. وللأسف هناك بعض الناس لا يعرف قيمة الصحة إلّا عندما يفقدها، وهذا من تقصير وخطأ منه، فالمسلم من واجبه أن يعرف نعمة الصحة، ويحافظ عليها، ويشكر الله عليها لتدوم عليه.

العلاج من الأمراض:

أجاز الإسلام طلب الشفاء بالدعاء، والأخذ بالأسباب، أي: بالتداوي بالمباحات، وحرم التداوي بالمحرمات. ومن اهتمام النبي بالصحة أمره بالتداوي، فقال لأمته: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ وَالْهَرَمَ»[56]. وأكد النبي بالحديث السابق أن لكل داء دواء، سوى الهرم، وهو سن الشيخوخة, وعلى هذا يجب على المريض ألّا يفقد الأمل من علاج نفسه. وبهذا فقد شارك النبي الأطباء في مهنة الطب، وذلك بأحاديثه الشريفة المتعلقة بالتداوي والوقاية[57]. ويبين النبيّ في هذا الموضوع أن لكل مرض سببًا، وإذا أردنا التداوي يجب أن نعرف سبب مرضنا، وذكر النبي أن الأمراض من الله تعالى، ونهى عن التشاؤم. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ

51 النحل، 112.
52 الأنبياء، 35.
53 الأنفال، 17.
54 أحمد بن حنبل، ج3 ، ص78.
55 الفيروز آبادي بن محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, تحقيق عبد الحليم الطحاوي، ج, 4, 208-207.
56 أحمد بن حنبل، ج30 ، ص398.
57 ولي أطماجة، أسماء الأمراض في الأحاديث، مجلة تدقيق الأحاديث, ج8, العدد2, 2010, ص25-67.

هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَد»[58]. وعلى هذا فقد نبهنا النبي إلى الأمراض وعلاجها، والتي لا نعرف لها علاجًا نصبر عليها، لنواصل حياتنا بلا جزع. ويجب أن نعرف أن الصبر على المرض لا يعني ترك التداوي، بل يعني التداوي إلى حين الشفاء, والتوكل على الله تعالى في جميع الأمور؛ وهذا الذي يليق بالمؤمن. في الماضي لم يكن العلاج متوفرًا كاليوم، ومع ذلك لم يأمر النبي أصحابه بترك التداوي؛ بل أمرهم بالعلاج حسب ما كان متوفرًا عندهم من أدوية ونحوها. وقد أصاب عثمانَ بن أبي العاص مرضٌ منذ أسلم، فاشتكى إلى النبي منه، فقال له النبي: «ضع يدك على مكان الوجع وقل: سبع مرات بسم الله أعوذ بالله من شر ما أجد واحاذر»[59]. والنبي علمه لعثمان، ولغيره من المسلمين، لذلك إذا أصاب أحد من المسلمين مرض يمكنه أن يفعل ويقول ذلك مع استعمال الدواء. وقال كثير من الفقهاء: إن ترك التداوي واللجوء إلى التوكل يغاير روح الدين والحكمة، والتوكل من دون أخذ الأسباب هو تواكل، ونوع من العجز والكسل الذي يرفضه الإسلام. وبعض الفقهاء قالوا في اعتماد التداوي والتوكل: وإذا كان الشخص في تهلكة من جهة صحته ويعرف أن التداوي يفيده يحرم عليه تركه[60]. وبيّن النبي لأمته أن هناك أدوية تفيد في شفاء الأمراض يجب البحث عنها، ونهى عن التداوي بأدوية محرمة، عن أم الدرداء قالت: قال رسول الله: «إنَّ الله تعالى خلقَ الداءَ والدواءَ فَتداووا، ولا تَتداووا بحرامٍ»[61]. والأصل في هذا قول النبي: «ما أنزلَ اللهُ داءً إلّا أنزلَ لهُ شفاءً»[62]. وقوله: «لِكلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أصابَ دواءُ الدَّاءَ بَرأَ بإذنِ اللهِ تَعالى»[63]. وفي هذه الأحاديث تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثّ على طلب ذلك الدواء، والتفتيش عليه. والشرع يؤكد ضرورة استخدام الدواء المباح، فهذه الأدلة التي أوردها تتضمن قطع الطمع باستخدام المحرمات في الدواء. وقد ورد عن النبي بعض الأحاديث التي تبين أسماء الأغذية التي فيها شفاء من الأمراض. وهذه بعض الأحاديث النبوية التي صحّت في الحبة السوداء, عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ هذهِ الحبَّةَ السوداءَ شفاءٌ منْ كُلِّ داءٍ، إلّا السَّامَ قلتُ: وما السَّامُ قال: الموتُ»، وقال أيضًا: «في الحبةِ السوداءِ شفاءٌ منْ كلِّ داءٍ، إلّا السَّامَ»[64]، والحبة السوداء كثيرة المنافع، كما تدلّ أحاديث النبي المتقدمة، وذكر الأطباء المسلمون وغيرهم ممن كتب في طب الأعشاب جملة من فوائد الحبة بأنها تفيد في علاج الزكام والصداع والبواسير واليرقان وحصيات الكُلى، والمثانة ولسع ذوات السموم؛ أي لسع الحشرات ونحو ذلك. وفي العصر الحديث أجرى عدد من الباحثين تجارب على الحبة السوداء مستخدمين حيوانات التجارب، والإنسان، لمعرفة الخواص الدوائية لها، وقد جاءت النتائج والتجارب جيدة، حيث ثبت للباحثين أثر الحبة السوداء في علاج بعض الأمراض، منها: أمراض الكلى، والأمعاء، وأمراض الدم، واتضح أثرها الطيب في السيطرة على الأحياء الدقيقة، وأنها مقوية لجهاز المناعة[65].

58 أحمد بن حنبل، ج15، ص449. مسلم، الآداب 33.
59 مسلم، سلام 67. الترمذي، طب29.
60 عبد الله قهرمان، موسوعة الديانة الإسلامية، اسطنبول, 2011, ج, 40 ص, 255.
61 أبو داود، طب 22.
62 مسلم، آداب 38.
63 أحمد بن حنبل، ج6 ، ص50.
64 مسلم، آداب 38.
65 حسان شمسي باشا، الشفاء بالحبة السوداء، ص9 بتصرف. تنبيه: يجب استعمالها وفق نصائح طبية لتجنب الآثار السلبية لها.

وقد نصح النبي المريض بالعلاج، فعن جابر قال: «بعثَ النبيُّ طبيبًا إلى معاذِ بن جبلٍ فقطعَ منهُ عرقًا، ثم كَواهُ»[66]. ومن ذلك قول النبي: «إنّ أمثل ما تَداويتمْ بهِ الحجامةُ...»[67]. وهذا يدعو للاحتجام لأهميته في علاج بعض الأمراض.

وهذا بعض النصوص الواردة في العسل: أشار القرآن إلى أن عسل النحل من الأدوية الشافية بإذن الله، وأرشدنا إلى ذلك ربنا سبحانه بقوله: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون} [68]. وهذا النص القرآني أهم ما ورد في شأن العسل، وفيه يخبر الله أن عسل النحل فيه شفاء للناس، أي دواء يتداوون به من عللهم وأمراضهم فتبرأ بإذن الله، وقد جعله الله تعالى بلسمًا شافيًا لكثير من الأمراض، وقوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه} [69]، هذا الشراب هو عسل النحل، ويدخل فيه ذلك الغذاء الملكي، والعكبر، فكل ذلك ممّا يخرج من بطون النحل، ولعله لهذا السبب لم يقل سبحانه يخرج من بطونها عسل، وإنما قال شراب ليشمل هذا كله. والله أعلم. وقوله سبحانه: {فِيهِ شِفَاءٌ} نص على أن في العسل شفاء، وأن له تأثيرًا في علاج الأمراض. ويقول النبي: «الشفاءُ في ثلاثٍ: شربةِ عسلٍ، وشرطةِ مِحجمٍ، وكيةِ بنارٍ، وأنهَى أمتي عنِ الكيّ»[70]. ونصح النبي بشرب العسل في عدة أحاديث، لأن فيه شفاء لبعض الأمراض, وكذلك نصح بالحجامة, ولكنه نهى عن التداوي بالكي؛ لما فيه من ألم النار الشديد كما ورد في الحديث السابق[71]. وبهذه الأحاديث قال بعض الفقهاء: إن التداوي مندوب، وإذا توقعنا الشفاء فهو واجب، ويحرم تركه. وذكر الأطباء القدماء، وكل من كتب في الطب النبوي أن العسل له منافع عديدة في علاج الأمراض، من ذلك: أنه يجلو الأوساخ التي في العروق والأمعاء، ويدفع الفضلات، ويفيد في علاج الكبد، والكُلى, والمثانة، وينفع في السعال، والتهاب اللوزتين غرغرةً، ويجلو ظلمة البصر، وينفع من لسع الحشرات، ومن بعض حالات التسمم. ويمكن أن يقال إنّ للعسل فوائدَ دوائيةً وغذائيةً كثيرةً، وهي من نعم الله تعالى على الناس.

ملاحظة: ولكن على المريض قبل أن يتناول العسل استشارة طبيبه، وبخاصة مريض داء السكري إذ قد لا يناسبه العسل[72].

علاقة التداوي بالمرض:

الله تعالى خالق الخير والشر؛ وكل شيء بقدرته وإرادته، قال تعالى: {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّه} [73] وعلى المريض أن يعالج نفسه بما يفيده ما عدا الأدوية المحرمة؛ لأنها في الأصل لا تفيد، ويجوز أن يقرأ المريض على نفسه القرآن للبركة، كما يجوز لغيره أن يقرأ له، وذلك لدفع المرض وحسد النظر

66 مسلم، جنائز 6.
67 مسلم، الطلاق 18. أبو داود، الصوم 8.
68 النحل، 68-69.
69 النحل، 69.
70 مسلم، آداب 38.
71 تأليف جماعة من الأطباء السعوديين، عسل النحل وأسراره الغذائية والدوائية، ص 28-29 باختصار.
72 حسان شمسي باشا، الشفاء بالحبة السوداء، ص9 بتصرف.
73 النساء، 79.

وغيره. وأنسب الآيات في هذا الموضوع هو المعوذات[74]، وآيات الشفاء والرحمة. ويعد الأخذ بالأسباب في العلاج من الأمراض أمرًا شرعيًّا مع الإيمان الكامل بأن الشفاء من عند الله تعالى، وهكذا يجمع المؤمن بين العمل بالأسباب، والتوكل على الله عز وجل في طلب الشفاء, وعلى المؤمن أن يكون قويًّا يصارع المرض ولا يستسلم له، ولا يعجز أمامه, فالمؤمن لا يكون عاجزًا, فالمعنويات القوية، والهمم العالية من أهم الأسباب المؤدية إلى الشفاء. وقد مرّ معنا الحديث الشريف ''المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف''. وعلاج الأمراض يكون بالأدوية، وباستعمال بعض الأجهزة، وبممارسة بعض التمرينات الرياضية والحركية، كما تدخل في ذلك المعالجة النفسية, والحمية وغيرها، ومن ذلك نصائح النبي لأهل المريض بعدم إكراهه على الطعام، بقوله: ''لا تكرهوا مرضاكم على الطعام، فإن الله يطعمهم ويسقيهم''[75] وهذا من عناية الله تعالى بهم.

أهمية زيارة المريض في الإسلام :

زيارة المريض حق له، وواجب على المسلمين فيما بينهم, لأن الإسلام يرى أن المسلمين إخوة، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[76]. لا تفرقهم الألوان ولا الأجناس ولا اللغات ولا القبائل, وأن هناك حقوقًا على الجميع تجاه بعضهم، منها زيارة المرضى وتفقد أحوالهم. وقد وردت عدة أحاديث تؤكد أهمية عيادة المريض، لأنها تطيب خاطره وتفرحه، وربما تكون سببًا في شفائه، وإذا لم يزره أحد يحزن، وربما يزداد مرضه. فهذه الحقوق إذا أُديت يكون فيها الأجر والثواب من الله تعالى في الآخرة، وثمارها طيبة في الدنيا أيضًا، لأنها تجمع الإخوة على المحبة، والتعاون. ومن آداب زيارة المريض الدعاء له، فقد كان النبي يقول للمريض: ''شفاك الله''[77]. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّه، كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: ''أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا''[78]. وزيارة المريض يعني السؤال عن حاله والاطمئنان عليه، ومساعدته إن كان محتاجًا إلى مساعدة، يقول بعض العلماء: زيارة المريض واجبة، ويقول: إذا لم يزر المريضَ أحد من المجتمع أثم المجتمع كله، ومنهم من يقول: زيارة المريض فرض كفاية، إذا زاره بعضهم سقط الإثم عن الجميع. والإسلام يدعو إلى زيارة المرضى الذين نعرفهم؛ والذين لا نعرفهم أيضًا، وهذه من سمات الخير الاجتماعية في الإسلام. ويجدر بنا أن نقول: إذا مرض الإنسان يذهب نشاطه، ويحزن، وتزداد مشقته، ويذهب صبره إذا لم يزره أحد، والإنسان يبتسم ويفرح إذا زاره أصحابه وأحبابه، ويقول في نفسه: هؤلاء من خير الناس لم يتركوني وحدي أُعاني المرض والوحدة، ويفرح بدعائهم له. ومن آداب زيارة المريض ألّا يتكلم الزائر بما يحزن المريض أو بما يكون سببًا في زيادة مرضه، وألّا يطيل الزيارة عنده لكي لا يحرجه. ومن المفترض أن تكون عيادة المريض فيها تفقّد لحاله إذا كان محتاجًا إلى مساعدة أم لا. إن زيارة المريض وتبادل الأحاديث معه والتخفيف عنه يطيّب نفسه، فيساعده على دفع العلة أو تخفيفها، ويحدث التأثير الطيّب في المريض أيضًا عندما تفرّح نفسه، وتطيّب قلبه، وتدخل

74 ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج3 , ص283.
75 الترمذي، طب، باب 4، ما جاء: لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب.
76 الحجرات، 10.
77 بخاري، توحيد 31, ومناقب 25.
78 البخاري، مرضى 6. مسلم، آداب 38.

ما يَسرُّهُ عليه وتدفع عنه ما يؤذيه[79] فقد كان رسول الله يزور المريض ويدعو له قائلًا: «لا بأس طهور إن شاء الله»[80]، وهذا من كمال اللطف وحسن العلاج النفسي الذي يحتاجه المريض كما أمر الرسول المسلمين بزيارة المرضى، فقال: «أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني»[81]، وزيارة المريض فيها ترابط اجتماعي قوي، قال رسول الله: «للمسلم على المسلم أربع خلال: يعوده إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويشمته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه»[82]. وفي الزيارة يكون الاطمئنان على المريض، والتخفيف عنه، ومواساته لا إزعاجه، وهذا يحتاج إلى تعاون الأهل وزائري المريض. وفي الزيارة ترتفع معنوياته ويقوى نشاطه، وهي من العلاجات النفسية المساعدة على شفاء الأمراض. وهذا الحديث الشريف يشير إلى ثواب زائر المريض، يقول النبي: «من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»[83]. وهذا يدل على أن ثواب عيادة المريض كبير. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[84]. كما اهتم النبي بالمرضى والمعاقين، والعجزة والضعفاء، وكان يزورهم ويتفقد أحوالهم، من ذلك أنه زار بدويًّا ودعا له بالشفاء[85]. ومن زار مريضًا فليقل عنده: «سبع مرات رب العرش العظيم، أسأل الله العظيم أن يشفيك[86]. كما أن النبي كان إذا دخل على مريض دعا له بطول العمر[87]. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَا أَخَا الْأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ» فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ «[88]، وهذا يدل أن النبي زار سعدًا في مرضه، وكان يتفقد أحواله ويعرف عن مرضه، وكذلك مرض سعد بن أبي وقاص وزاره النبي[89]. وبهذا علمنا أن النبي اهتم بصحة من حوله، ونصحهم بما يفيد سلامتهم أثناء الصحة وأثناء المرض، وتفقد أحوالهم ودعا لهم .

يُسْر الإسلام:

ومن يسر الإسلام أنه رفع الحرج والمشقة عن المرضى، وهذا من رحمة الله بعباده أصحاب الأعذار؛ فقد جعل لهم رخصًا ترفع عنهم المشقة والضيق في العبادة من جهة، والتيسر من جهة

79 غياث النجار، التربية الصحية في ضوء الفكر الإسلامي، ص 210.
80 البخاري، مرضى 6. مسلم، آداب 38.
81 البخاري، مناقب 42.
82 أحمد بن حنبل، ج9 ، ص 261.
83 مسلم، البر والصلة 45.
84 البخاري، جنائز 80، مرضى 11. أبو داود، جنائز 2.
85 البخاري، توحيد 31، مناقب 25، مرضى 10 - 14.
86 أبو داود، جنائز 8. الترمذي، طب 22.
87 ابن ماجة، جنائز 1.
88 مسلم، جنائز 7.
89 مسلم، جنائز 6.

ما يجده الإنسان من صعوبات في حالاته الخاصة. لأن التكليف في الإسلام على قدر استطاعة المسلم, والمرض يوقع الإنسان في حالة الضرورة، لذلك يحتاج إلى رخصة تخفف عنه بعض التكاليف المفروضة عليه، أو ترفعها عنه. والدليل على ذلك: قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ}[90]. والبخاري سمى بابًا في كتاب الإيمان باسم الدين يُسر، وأتى بأحاديث تبين ذلك، ويجب أن نعرف أن اليُسر تدخل تحته أمور كثيرة مثل: التيمم في حال عدم استطاعة المسلم استعمال الماء للطهارة، كما رفع فرض الجهاد عن المريض، وأما الصلاة فلا تسقط عنه مادام عقله ووعيه موجودين، ويصلي حسب قدرته، فالمريض يصلي على قدر استطاعته، قال رسول الله للمريض: «إن استطعت أن تسجد على الأرض فاسجد، وإلّا فأومِ إيماءً، واجعل سجودك أخفض من ركوعك»[91]. فمن لا يستطيع أن يصلي قائمًا يصلي على ظهره مستقبلًا بوجهه القبلة، ويرفع رأسه قليلًا عن الأرض، وقدماه إلى القبلة، ويومئ بالركوع والسجود, وهذا أحسن من الذي يصلي على جنبه, وفي المذهب الحنفي من لا يستطيع السجود فلا يلزمه أن يسجد على طاولة أو نحوها، لذلك عليه أن يأتي بالركوع والسجود بحسب استطاعته، ويأخذ ثواب الأصحاء في ذلك. وقد بين الله تعالى في القرآن أن فرضية الحج على المستطيع، فقال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}[92]. وتكون الاستطاعة بالمال والبدن، وكذلك الصيام عبادة مفروضة على الأصحاء، وهي على الذين يطيقونه، وأما المريض فله أن يؤجل الصيام لحين الشفاء، أو تسقط عنه، ويدفع كفارة إن كان يعجز عن الصوم طول حياته، وإن كان فقيرًا فلا شيء عليه. والنبي عندما كان لا يستطيع أن يصلي في الليل كان يصلي في النهار اثنتي عشرة ركعة[93]. والنبي رخص للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف لبس الحرير لمرض الحكة الذي أصابهما. والذين أرادوا المشاركة في القتال في سبيل الله، وحبسهم المرض ولم يستطيعوا الخروج له، وهم أصحاب الأعذار، أخذوا ثوابه مع أنهم لم يشاركوا فيه، وهذا من فضل الله على عباده [94]وهذا ما قاله النبي بعد ما رجع من غزوة تبوك: ''ما قطعتم واديًا إلّا كانوا معكم''. [95]أي: شاركوكم في أجره بحسن النية. وفي هذا الموضوع نذكر أن عثمان بن عفان لم يشارك في غزوة بدر لأن زوجته كانت مريضة، يُمرضها، وعدّه النبي من أهل بدر[96]. والنبي أوصى بمن يَؤمّ الناس أن ينظر إلى من خلفه من الضعفاء والمرضى والعجزة، وأن يخفف في الصلاة شفقة عليهم، قَالَ النبي: «فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»[97]، وجاء رجل إلى النبي يشكو سوء حفظه، وقال: لا أحفظ شيئًا من القرآن، فعلّمه النبي ما يكفيه للصلاة، وقال له: قل: «اللهم ارحمني، اللهم ارزقني، اللهم اعف عني»[98]، وقال له ادعُ بهذا الدعاء، وهذا من يُسر الإسلام ولم يُضيق عليه، ويكون هذا له ولأمثاله ممن يعجز عن

90 النور، 61.
91 الترمذي، صلاة 254. ابن ماجة، إقامة 139.
92 آل عمران، 97.
93 مسلم، مسافرون 140.
94 البخاري, لباس, 29. مسلم, لباس, 24-25. البخاري, جهاد, 91. أبو داود، جهاد, 91.
95 البخاري، جهاد 35. ابن ماجة، جهاد 6.
96 البخاري، جهاد 35 مغازي 81. أبو داود، جهاد 19. ابن ماجة، جهاد 6.
97 أبو داود، صلاة 185. مسلم، سلام 64.
98 أبو داود، صلاة، 135,.

حفظ القرآن إلى أن يوفقه الله لحفظ شيء منه، ففي الإسلام رُخَص كثيرة لأصحاب الأعذار، وهذا يدل على أن الإسلام دين الرحمة، ويهتم بأتباعه، كيلا يقعوا في الحرج وتضيق عليهم حياتهم، فهم يقومون بالعبادة وهم في حالة نفسية حسنة؛ لأن عملهم مقبول عند الله سبحانه مع تقصيرهم فيه.

التداوي بالرقية: وتُعرف الرقية بأنها الاستعاذة من المسيئات، وهي نوع من أنواع التداوي من الأمراض، ومن كل ما يسيئ الإنسان، فهي تنفع قبل وقوع المرض وعند وقوعه وبعد الشفاء منه؛ وعلى هذا فهي وقاية وعلاج وشكر لله لتدوم الصحة والعافية. والرقية الشرعية تكون بالدعاء المأثور غير المخالف للشرع، وبقراءة القرآن، وينفث المريض مكان الوجع ويمسحه بيده. ويفيد استعمال التراب بأن يمسح به مكان الوجع، وتنفع الرقية من لدغ الحية والعقرب. وكان الناس يستعملون الرقية في الجاهلية، وكانت فيها كلمات شركية، لذلك نهى الإسلام عنها، وبين النبي نوعين من الرقية، الأول: ما كان فيه شرك ويخل بالتوحيد فهذا محرم، والثاني ما كان بأدعية وآيات قرآنية فهذا جائز، والنبي دعا أمته إلى فعل الرقية الجائزة، ونهاهم عن الرقية التي تؤثر في إيمان المؤمن سلبًا وتضر به[99]. وفي الكتاب والسنة أدعية كثيرة يعيذ المسلم بها نفسه ليحفظ روحه، وبدنه من شر الشياطين ونحوهم. وهناك بعض الأحاديث تنهى عنها، وبعضها يجيزها، لذلك انقسم رأي العلماء في شأنها إلى قسمين، منهم من أجازها وله أدلته، ومنهم من لم يجزها وله أدلته. ومن أجازها استدل بفعل النبي وبقوله، فقد كان إذا زار مريضًا رقاه كما رقى الحسن والحسين، واستعاذ لهما من الشيطان، ومن السم، ومن العين[100]، والنبي رقى نفسه، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ»[101]، وأجاز النبي صلى الله عليه وسلم الرقية من أجل النظر، وشر الحسد، ولدغ الحية والعقرب[102]. والنبي أجاز لجابر بن عبد الله، وخال عوف بن مالك الأشجعي بالرقية التي ليس فيها شرك، والنبي أقر ما فعله أبو سعيد الخدري عندما رقى شيخ القوم بالفاتحة، وشفاه الله بهذه الرقية[103]. ورأى النبي طفلاً في بيت أم سلمة وجهه أصفر، فقال لهم: «ارقوا هذا الطفل»[104]. وأهم مثال للرقية ما رقى بها النبي عليًّا في غزوة خيبر عندما اشتكى من مرض في عينه، إذ قرأ عليه، وتفل في عينه، وبهذا الشكل رقاه، وبعدها لم يعد يشكو عليّ من ألم في عينه[105]، وهذا الفعل جائز. ونجد من هذه الأمثلة الكثير في كتب الحديث الشريف وقد دونت في كتب الطب النبوي. وأما العلماء الذين قالوا إن الرقية لا تجوز، فدليلهم الروايات التي تقول[106]: «من علق تميمة فقد أشرك»[107]، لأنها نوع من الشرك المحرم، وكذلك الرقية التي تكون للمحبة بين الزوجين، وفيها كلمات لا يعرف معناها تكون سببًا

99 البخاري، جهاد 134.
100 شلبي، إلياس، الرقية، موسوعة الإسلام، رئاسة الشؤون الدينية، ج37، ص 219.
101 البخاري، أنبياء 10. ابن ماجة، طب 36. الترمذي، طب 18.
102 أحمد بن حنبل، ج17، ص323.
103 ابن حبان، الرقى والتمائم 52.
104 مسلم، طب 59 . البخاري، طب 54.
105 البخاري، طب 54.
106 البخاري، فضائل الصحابة 9. مسلم، فضائل الصحابة 34.
107 النسائي، تحريم 19. أحمد بن حنبل، ج4 ، ص249.

للشرك. ومن العلماء من قال: إن ترك الرقية واللجوء إلى التوكل أفضل، مستندين في قولهم إلى الحديث عن المرأة السوداء. عَنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»[108]. والذي يجب أن نؤمن به، هو أن الشفاء بيد الله تعالى، إن شاء شفى المريض، وإن شاء أبقاه مريضًا، وإن شاء جعل نهاية حياته في المرض الذي أصابه. فكل شيء بإذن الله، فالطبيب لا يأتي بالشفاء لأحد، ولكنه يصف العلاج الذي يراه مناسبًا للمرض.

الأمراض مكفرات للذنوب:

عندما يصبر المريض على مرضه ويحتسب الأجر من الله تعالى يكون ذلك سببًا لتكفير ذنوبه ورفع درجاته، فكل ما يصيب المؤمن يؤجر عليه، لقول النبي: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»[109]، وفي حديث آخر قَالَ رَسُولُ الله: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[110]. وفقدان البصر مصيبة عظيمة، والذي يصبر عليها وعده الله بالجنة، وكما يقال: الغُرم بالغُنْم، والحديث الذي يؤكد هذا الوعد هو: قَالَ رَسُولُ اللَّه: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلَّا الجَنَّةَ»[111]. والذي يجب أن نؤمن به أن الدنيا فانية، وأن المصائب محدودة، والأيام معدودة، وسيجد المؤمن ثواب صبره في الآخرة، والذي لا يصبر ويعصي الله يفقد ثواب مصيبته. عن جَابِرُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ قَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ.[112]" والذي يموت بالمرض ونحوه فهو شهيد، والدليل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ»[113]، وذلك لأنه يحمي المسلمين، فالذي لا يخرج من مكان الوباء يفدي بنفسه المسلمين، ولا يعرضهم للعدوى بالمرض، فإذا مات يكون شهيدًا قد دافع عن المسلمين، لأن كليهما، المقاتل والصابر يدافع عن المسلمين. وأيضًا من يُقتل مَظلومًا فهو شهيد، والذي يموت بالزلزال والآفات، والمرأة الحبلى، والتي تموت في أثناء المخاض، ومن مات بشيء لا يمكن دفعه، ونحو ذلك من المصائب والأمراض، فهم شهداء عند الله تعالى في الآخرة. والإمام الغزالي قسم المصائب إلى ثلاثة أقسام، الأول: مرض المنافق ومصيبته، وهذا يكون له

108 البخاري، مرضى 6. مسلم، بر 54.
109 مسلم، سلام 64. البخاري، مرضى 1.
110 مسلم، زهد 64. أحمد بن حنبل، ج31، ص 268.
111 الترمذي، زهد 47.
112 البخاري، مرضى 13.
113 مسلم، سلام 92. البخاري، طب 31.

عقابا، لأنه يعصي الله. والثاني: مرض المسلم ومصيبته، ويكون كفارة لذنوبه بسبب صبره، والثالث: المسلم الشكور ومرضه ومصيبته ترفعان درجاته[114].

حقوق المرضى:

وتأتي حقوقهم من حقوق الإنسان العامة، لأن حقوق المرضى جزء من حقوق الإنسان العالمية، ولا يمكن أن يعيش من دون حقوق محفوظة له[115]. وفي الأصل حقوق الإنسان تطبق في الصحة والمرض، والهدف أن المريض يأخذ حقوقه ضمن الخدمات الصحية بما يناسب وحقوق الإنسان العالمية المنشورة، فله حقه في الحياة، وحقه في الحرية، ونحوهما. وفي عام 1981 عقد مؤتمر في ليز بون؛ شارك فيه أكثر نقابات الأطباء في العالم، ومنظمات حقوقية، وإنسانية. ونشروا حقوق المرضى في كتاب، سموه ميثاق حقوق المرضى، وكان ذلك برعاية منظمة الصحة العالمية، وفي هذا الميثاق ورد موضوع بعنوان، المساعدة الدينية للمرضى. من أجل رعاية المريض من الناحيتين الطبية والدينية؛ لأن مساعدة المرضى حق من جهة الطب والدين، وفي المادة 11 من هذا العنوان كُتب أن للمريض الحق بأن يطلب رجل دين لدعمه الروحي والأخلاقي، كما يحق له رفضه، أو عدم طلبه. ويجب أن يتوفر له هذا الحق عندما يطلبه، وعدم رده لأنه غير جائز رفضه طبيًّا وأخلاقيًّا، لأن القصد أن يقوم الإنسان بواجباته الدينية، والدنيوية، ويجب أن يُصَان حقه لأن فيه تقوية له من الناحيتين المادية والمعنوية[116]. وحقوق الإنسان التي نُشرت في تركيا بوصفها مادة فيها الأمور السابقة، وهي: أولًا: حق أخذ الخدمة من ناحية العدالة، والصحة، وأخذه المعلومات عنها، وحقه في نفسه من جهة أخذه العلاج أو رده، أو إنهائه، وحقه في التعرف على العاملين في الصحة من أطباء وموظفين وممرضين ونحوهم، وحقه في اختيار الطبيب الذي سيعالجه، أو تغييره، وحقه بعدم إجراء أي عمل طبي له دون موافقته المسبقة ورضاه، وحقه بحفظ أسراره الخاصة به، وحقه بعدم نقل أي عضو من أعضائه دون إذنه, ولكن لا يحق له الانتحار وقتل نفسه[117].

أخيرًا نقول: إن دين الإسلام دين الحقوق، ويأتي في مقدمة هذه الحقوق حق الله، وبعده حقوق الإنسان، وإذا قارنّا الحقوق السابقة مع الأحاديث النبوية نجد أن كثيرًا منها موجود فيها. ويجب أن نذكر أن النبي منع الجاهل أن يمارس معالجة الناس، وذلك بقوله: «من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن»[118]. وإذا فعل الطبيب الجاهل ما يضر المريض، فللمريض أن يأخذ حقه منه؛ ويكون بالتعويض والضمان العادل، وذلك نتيجة لما لَحق به من ضرر، لأنه لا يجوز في الإسلام انتهاك حقوق الناس والإضرار بهم.

النتيجة: المرض والعجز والإعاقة والموت ليست أمورًا قبيحة، لأن وقائع الحياة تأتي من الله تعالى، وهي حقيقة الحياة، ولا تمشي الحياة بشكل مستقر، ولا على نسق واحد، وهناك أحاديث

114 محمد الغزالي، كيميائي سعادت ترجمة أحمد سردار أوغلو، ص572.
115 نورجان تكه، حقوق المرضى، جامعة بيكنت، معهد العلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 2014, ص21.
116 للمزيد من المعلومات حول الموضوع انظر: نور الله ألتاش، الخدمة الدينية في المستشفيات، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية، جامعة أنقرة1997 .
117 عمر ألجي أوغلو، عايشة غول دمير خان, الطب الحديث وحقوق المرضى, إسطنبول, 2003, ص101-110.
118 أبو داود، الديات 36. النسائي، القسامة 45.

نبوية كثيرة تعلمنا كيف نتعامل مع المصائب، وكيف نتلقاها، وفي الطب النبوي أحاديث متعلقة بالوقاية والمرض والعلاج، وهي تلفت نظرنا إلى حفظ صحتنا، وإذا أصبنا بالمرض فلا نجزع، فقد أصيب بها الأنبياء قبلنا، وهم خيرة خلق الله تعالى. ويجب أن نعرف أن الإسلام اهتم بالوقاية أكثر من اهتمامه بالعلاج، وأن نتوكل على الله في الوقاية والتداوي، ولا نحسب أن المرض شرّ ونفكر بالانتحار، بل هو خير، وهو من أسباب كفارات الذنوب ورفع الدرجات، ولكنه يحتاج إلى صبر وقوة إيمان بالله، مع أخذ العلاج المناسب، ومن أسباب شفاء المرضى زيارتهم والدعاء لهم، والنبي مارس ذلك بنفسه، وهو قدوتنا في ذلك، وأعطى رسالة عالمية في هذه المجالات وغيرها، وما يقال في هذه الأيام من حقوق المرضى موجودة في الأحاديث النبوية والآيات القرآنية؛ لأن الإسلام اهتم بها. ونطلب ممن يهتم بشؤون المرضى؛ وبخاصة الجهات الرسمية أن تجري دراسات جامعية تبين حقوقهم في الإسلام بشكل علمي وواقعي ليعرف الناس ذلك، ونعول في هذا الأمر على رئاسة الشؤون الدينية في تركيا مع وزارة الصحة، ويسرنا عقد برامج عمل في هذا المجال، للحاجة إليه.

المراجع

ابن حجر العسقلاني, أحمد بن علي أبو الفضل, فتح الباري شرح صحيح البخاري, دار المعرفة بيروت. 1959.

ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت273ه)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء الكتب العربية، الناشر فيصل عيسى البابي الحلبي.

ابن حبان، محمد أبو حاتم بن أحمد ، التميمي الدارمي البستي، (ت 354ه) صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1988م.

ابن سعد، الطبقات الكبرى, بيروت, دار صادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت275ه) ،سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني (ت241ه) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

ألجي أوغلو, عمر ، عايشة غول دمير خان, الطب الحديث وحقوق المرضى, إسطنبول, 2003.

ألتاش, نور الله ، الخدمة الدينية في المستشفيات، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية، جامعة أنقرة، 1997م .

أطماجة, ولي ، أسماء الأمراض في الأحاديث، مجلة تدقيق الأحاديث, ج8, العدد2, 2010.

آيدوز، داود، الأغذية والشفاء في القرآن الكريم، مكتبة تيماش، 1997م.

البخاري، محمد أبو عبد الله بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، (ت279ه) ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر (ج1،2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3) وإبراهيم عطوة عوض (ج4،5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.

تك، نورجان، حقوق المرضى، جامعة بيكنت، معهد العلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 2014م.

تكين أش, آيهان ، الطب الإسلامي البديل «الطب النبوي''، مجلة الديوان للبحوث العلمية, إسطنبول, 1998, العدد4.

السعوديين جماعة من الأطباء، عسل النحل وأسراره الغذائية والدوائية، المملكة العربية السعودية، توزيع مكتبة الجامعة.

شلبي، إلياس، الرقية، موسوعة الإسلام، رئاسة الشؤون الدينية، إستانبول، 2008 م.

شمسي باشا، حسان ، الشفاء بالحبة السوداء، جدة، مكتبة السوادي، 1411ه.

الطهماني النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم بن محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، (ت 405ه) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

الغزالي، محمد، كيميائي سعادت، ترجمة أحمد سر دار أوغلو.

القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي, الجامع لأحكام القرآن, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية – القاهرة, 1964.

مسلم بن الحجاج, أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت261ه) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

قهرمان، عبد الله، موسوعة الديانة الإسلامية، إستانبول، 2011 م.

المحلي، جلال الدين، والسيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط16, 2014 م.

النجار، غياث، التربية الصحية في ضوء الفكر الإسلامي، دار الأعلام، الأردن، 2005م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني، (ت303ه) السنن الكبرى ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001 م.

يعقوب، الفيروز آبادي محمد، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، المكتبة العلمية.

Kaynakça

Ahmed b. Hanbel, Ebû Abdullah el-Şeybânî (241885/), *Müsnedü'l-imâm Ahmed b. Hanbel,* tahkik Şuayb el-Arnaûd ve diğerleri, Müessesetü'r-risâle, 2001.

Altaş, Nurullah, *Hastanelerde Din ve Moral Hizmetleri,* Basılmamış Yüksek Lisans Tezi, Ankara, 1997.

Atmaca, Veli, "Hadislerde Geçen Hastalık Adları", *Hadis Tetkikleri Dergisi VIII/2 (2010),* s. 2567-.

Aydüz, Davûd, *Kur'an-ı Kerim'de BEsinler ve Şifa,* Timaş Yayınları, 1997.

Bir grup Suudi doktor, *Aselu'n-nahl ve esrâruhu'l-gızâiyye ve'd-devâiyye,* Suudi Arabistan Krallığı, t.y.

el-Buhârî, Muhammed Abdullah b. İsmail el-Ca'fî (256870/), *Sahihu'l-Buhârî,* tahkik Muhammed Züheyr b. Nasır en-N'asır, Dâru tavki'n-necâh, h. 1422.

Çelebi, İlyas, "er-Rikka", *DİA.*

Ebû Dâvûd, Süleyman b. el-Eş'as el-Ezdî es-Sicistânî (275889/), *Sünenu Ebî Dâvûd,* tahkik Muhammed Muhyiddin Abdulhamid, Beyrut: el-Mektebetü'l-hayriyye, t.y.

Elçioğlu, Ömer ve Demirhan, Ayşegül, *Modern Tıp ve HAsta Hakları,* İstanbul, 2003.

el-Gazzâlî, Muhammed, *Kimyâi Saâdet,* tercüme Ahmed Serdaroğlu, y.y., t.y.

İbn Hacer el-Askalânî, Ahmed b. Ali Ebulfadl, *Fethu'l-bârî şerhu sahîhi'l-buhârî,* Beyrut, Dâru'l-ma'rife, 1959.

İbn Hibbân, Muhammed Ebû Hâtim b. Ahmed et-Temîmî ed-Dârimî el-Bestî, *Sahîhu ibn Hibbân,* tertib el-Emîr Alâuddîn b. Balbân el-Fârisî, tahkik Şuayb el-Arnaûd, Müessesetü'r-risâle, 1988.

İbn Mâce, Ebû Abdullah Muhammed b. Yezid el-Kazvînî (273887/), *Sünenü ibn Mâce,* thk. Muhammed Fuâd Abdulbâki, Dâru ihyâi'l-kütübi'l-arabiyye, t.y.

İbn Sa'd, Ebû Abdillâh Muhammed b. Sa'd b. Menî' el-Kâtib el-Hâşimî el-Basrî el-Bağdâdî (230845/), *et-Tabakâtü'l-kebîr,* Beyrût: Dâru Sâdır, t.y.

el-Kurtûbî, Ebû Abdullah Muhammed b. Ahmed b. Ebî Bekr b. Farah el-Ensârî el-Hazrecî, *el-Câmî' li-ahkâmi'l-Kur'ân,* takik Ahmed el-Berdûnî ve İbrahim Atfîş, Kahire: Dâru'l-kütübi'l-mısriyye, 1964.

Müslim b. el-Haccâc, Eb.û'l-Hasen el-Kuşeyrî en-Nisâbûrî, *Sahîhu Müslim,* tahkik Muhammed Fuad Abdülbaki, Beyrut: Dârü ihyâi't-türâsi'l-arabî, t.y.

en-Neccâr, Gıyâs, *et-Terbiyetü's-sıhhiyyetü fî dav'i'l-fikri'l-islâmî,* Ürdün: Dâru'l-a'lâm, 2005.

en-Nesâî, Ebû Abdurrahman Ahmed b. Şuayb b. Ali el-Horasânî (303915/) , *es-Sünenü'l-kübrâ,* tahkik Hasan Abdulmun'im Şelebî, Beyrut: Müessesetü'r-risâle, 2001.

es-Suyûtî, Celâleddin, *Tefsîrü'l-celâleyn,* Dımaşk: Dâru ibn Kesîr, 2014.

Şemsi Paşa, Hasan, *eş-Şifâ bi'l-habbeti's-sevdâ,* Cidde, h. 1411.

et-Tahmânî en-Nîsabûrî, Ebû Abdullah el-Hâkim b. Muhammed b. Abdullah b. Hamdeveyh b. Nuaym b. el-Hakem, *el-Müstedrek ale's-sahihayn,* tahkik Mustafa Abdülkadir Atâ, Beyrut: Dârü'l-kütübi'l-ilmiyye, 1990.

Tek, Nurcan, *Hasta Hakları,* Basılmamış Yüksek Lisans Tezi, İstanbul, 2014.

Tekineş, Ayhan, "Alternatif İslami Tıp "Tıbb-ı Nebevi"", *Divân Disiplinlerarası Çalışmalar Dergisi* 4 (1998), s. 5772-.

et-Tirmîzî, Muhammed b. İsa b. Sevre b. Musa b. ed-Dahhâk Ebû İsâ (279892/), *Sünenü't-Tirmîzî,* tahkik Ahmed Muhammed Şâkir ve diğerleri, Mektebetü Mustafa el-Bâbî el-Halebî, Mısır, 1975.

Ya'kub, el-Feyrûzabâdî Muhammed, *Basâiru zevi't-temyîz fî letâifi'l-kitâbi'l-azîz,* tahkik Abdulhalim et-Tahâvî, el-Mektebetü'l-ilmiyye, t.y.